

دور الدين في الوقاية من المخدرات

الأستاذ: مسعودي رضا

مخبر الوقاية الأرغنوميا، جامعة الجزائر

تهدية:

أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أحلّ لنا الطيبات، وحرّم علينا الخبائث، وشرع لنا من الدين ما يقينا كل ما يلحق الضرر بنفوسنا وعقولنا ومجتمعاتنا، ويحمينا من الشقوة في الدنيا والحسرة في الآخرة، وفتح باب التوبة لعباده الذين أسرفوا على أنفسهم، ليستعيدوا سكينته النفس ويستأنفوا استقامة السلوك. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الذي كانت الغاية من ابتعائه إلحاق الرحمة بالناس، قال تعالى: ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) وبعد:

فإن الله عزّ وجلّ كرّم بني آدم، وأحلّ لهم الطيبات وحرّم عليهم الخبائث، ونهّاهم عن كل ما يؤدي إلى الإفساد بدنيهم، والإضرار بمصلحتهم. ولقد أوجبت الشريعة الإسلامية حماية الضروريات الخمس التي يقوم عليها بناء المجتمع الصالح: أي حماية النفس والعقل والدين والمال والعرض. وجاءت النصوص المحكمة تحرّم كل ما يلحق الضرر بشيء من هذه الضروريات.

والعقل من أعظم النعم التي أفاء الله بها على بني البشر، وجعله شرطاً لتحلّل التكاليف الشرعية بكل جوانبها. واعتبر العبث بهذه النعمة، والعمل على إفسادها بأية وسيلة كانت، من الجرائم الكبرى التي تعطلّ أهم ملكات الإنسان التي تدفعه للتفكير في ذاته، والنظر في خلق الله، والتدبر في الكون من حوله، والاستفادة من كل ما سخره الله عز وجل لإسعاده وإسعاد البشرية جمعاء؛ وما يدعو للأسى، أن نرى هذا الإنسان يقوم بالاعتداء على هذه النعمة بفعله أو بتأثير غيره، فيعمد إلى إتلافها من جراء تعاطي المخدرات والمسكرات، التي عمّت بلواها أرجاء الأرض كافة.

وبما أن المخدرات مفسدة للعقل ومخرّبة للبدن، ومضيعة للمال والجهد والإنتاج، ومخرّبة للشخصية ومجلبة للضرر أجمع الفقهاء على تحريمها بلا خلاف؛ وأجمعوا كذلك على إنزال أشد العقوبات بمرتكبيها ومروجيها وكل من يؤدي بأي سبب من الأسباب إلى تسهيل

تعاطيها. والحديث النبوي الشريف التالي يبين ذلك بوضوح. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة، عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيتها وبائعها وأكل ثمنها والمشتري لها والمشترة له". فشرب الخمر فعل تشترك فيه هذه الفئات العشرة من الناس، بمختلف مراحل إنتاج وتوزيع واستهلاك الخمر، وما ينطبق على الخمر ينطبق على غيرها من الموبقات والمحرمات مثل بقية المخدرات.

وعن هذه الآفة الخطيرة يقول الشيخ محمد الغزالي "من السخف تصور أن الشارع يحرم الخمر ويترك مواد أخرى اشد ضرراً وأعظم فتكاً، وإذا كان أئمة الفقه الأقدمون لم يذكروا الحشيش والأفيون فلأن بيعاتهم لم تعرفه...، فلما ظهرت بعض المخدرات أيام ابن تيمية عدّها لفوره من الخمر، وفي أيامنا هذه ظهرت عقاقير أخرى كالكوكاين والماريجوانا وغيرها، تغتال العقول، وتهلك المدمن وتستأصل إنسانيته فكيف تترك؟ وفي الحديث (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام) وفي حديث آخر (إن من العنب خمرًا، وإن من التمر خمرًا، وأن من العسل خمرًا، وأن من البر خمرًا، وإن من الشعير خمرًا، وأنهاكم عن كل مسكر). وظاهر الحديث أنه يسوق نماذج، ثم يذكر القاعدة العامة ونحن لا نهتم بالأسماء ولا بالمصدر، وإنما نهتم بالتشخيص العلمي للأشربة والعقاقير، فما ثبت تغييره للعقل، أو ما أفقد المرء اتزانة الفكري، فهو محرم بيقين. والفقه الإسلامي يضع حداً لشارب الخمر، قدره ثمانون جلدة، وليس لهذا الحد سند من الكتاب الكريم أو السنة المطهرة، وإنما اتفق عليه جمهور الصحابة.

ويقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي في كتابه الحلال والحرام (1988) في معرض تأصيله لحزمة المخدرات: " (الخمر ما خامر العقل) كلمة نيرة قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فوق منبر النبي صلى الله عليه وسلم يحدد بها مفهوم الخمر، حتى لا تكثر أسئلة السائلين ولا شبهات المشتبهين. فكل ما لابس العقل وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة فهو خمر حرام حرّمه الله ورسوله إلى يوم القيامة."

وحينما نبدأ بالحديث عن المخدرات، نجد أنفسنا أمام قضيتين تُناقض إحداها الأخرى. أما أولاهما وهي التي أشرنا إليها سابقاً فتستند إلى القواعد الدينية أو الأخلاقية التي تُدين تعاطي المخدرات جملة واحدة، وتعتبرها من أخطر السموم على العقل والبدن وتؤدي إلى فقدان التوازن البدني والنفسي، وقد تمّ التعرض لها.

أما القضية الثانية فهي الواقع الأليم الماثل أمام أعيننا، والذي يتجلى بانتشار المخدرات في ربوع بلادنا الحبيبة، كانتشار النار في الهشيم؛ انتشاراً يأخذ بالازدياد يوماً بعد يوم، مما يقود إلى إفساد الفرد والمجتمع على المستويات كافة. ومن الخطورة بمكان الظن بأن المعالجة يمكن أن تكون في التستر على الجريمة أو بالاعتصار على تشريع العقوبة الشديدة فقط، دون التفتيش عن تدابير الوقاية التي عندها تكون المعالجة الحقيقية، ذلك أن الاعتصار على معالجة وترميم الآثار يعني الرؤية العاجزة والوسيلة البدائية القاصرة.

وستتم معالجة الموضوع من خلال مناقشة ما شرعه الإسلام من تدابير وقائية وعلاجية لمواجهة أسباب تعاطي المخدرات، التي أشارت إليها مختلف البحوث الميدانية والتناولات النظرية المفسرة لسلوك متعاطي المخدرات والتي تتلخص فيما يلي:

- أساليب إدراك المدمن للأشياء وتفسيره لها، قبل وبعد الإدمان.
- أحداث الحياة الضاغطة.
- تفكك الأسرة واضطراب علاقات المدمن والاجتماعية.
- إقامة علاقات مع أقران يتعاطون المخدرات.
- أوقات الفراغ.
- الجهل بالحكم الشرعي للمخدرات.

ومع أن العوامل السالفة متداخلة فيما بينها، إذ قد تتسبب كلها مجتمعة أو بعضها في الإدمان على المخدرات، كما قد يؤدي أحد هذه الأسباب منفرداً لذلك. إلا أننا سنتناول كل عنصر على حدى.

1- أساليب التفكير:

بالرغم من أن فكرة تأثير أسلوب التفكير في حياتنا الانفعالية والشخصية، فكرة قد تبلورت على نحو واضح في السنوات الأخيرة، فإن لها جذوراً تاريخية ممتدة. فقد تنبه الفلاسفة والمفكرون منذ القدم إلى أن الطريقة التي ندرك بها الأشياء وليس الأشياء نفسها، هي التي تسم سلوكنا بالاضطراب أو السواء (عبد الستار إبراهيم، 1998، 164). أي أنه ليس المحيط ولا الأحداث هما اللذان يتحكمان في حياتنا، بل المعنى الذي نعطيه لهذه الأحداث، وكيفية تفسيرنا وفهمنا لها هو الذي يحدد لنا ما الذي يؤدي بنا إلى الألم وما الذي يؤدي بنا إلى

المتعة، وما إن يحدث لنا شيء في حياتنا يواجهنا الذهن بسؤالين هما:

- هل يعني هذا ألم أم متعة؟
 - ما الذي يتوجب علينا أن أفعل الآن لتجنب الألم و/أو لتحصيل المتعة؟
- الجواب على هذين السؤالين مبني على قناعاتنا، وقناعاتنا تقودها التعميمات على ما تعلمنا أنه قد يؤدي بنا الألم أو المتعة، بهذه الطريقة توجه جميع أفعالنا، وبالتالي توجه حياتنا؛ وللقناعات ثلاث مستويات مختلفة من حيث المصادقية وهي (أتوني روبنز، 2003، 83):
- الآراء: هو أمر يقيننا به نسبياً ومؤقتاً إذ من الممكن أن يتغير موقفنا تجاهه بسهولة، وقد تبنى الآراء على مجرد انطباعات.
 - القناعة: شعور يقيني بشيء ما، تسنده عدة مرجعيات تتمثل في تجارب الفرد الشخصية، والمعلومات التي استقاها من مصادر أخرى تحوي عاطفة جياشة، بل حتى أشياء تخيلها بشفافية، ويمكن مناقشة صاحب القناعة حول مرجعياته وتشكيكه فيها ومن ثم دفعه لقبول قناعات جديدة.
 - العقيدة: الشخص الذي يحمل عقيدة لا يكتفي بالإحساس باليقين يغضب إذا وضعت هذه العقيدة موضع التساؤل، ولا يقبل أن توضع مرجعياته موضع التساؤل ولو للحظة واحدة، هو مستعد لتحمل فكرة رفضه من قبل الآخرين، أو حتى سخرتهم منه في سبيل المحافظة على عقيدته.
- وفيما يلي نستعرض دور العقائد والقيم التربوية الإسلامية للإنسان المسلم والتي تدور حول مهمته والغاية من خلقه في الوجود، وطبيعة دوره ورسالته في الحياة، ومن ثم مصيره بعد الموت، وكيف توجه العقائد أسلوب تفكير المسلم وتقيه من الإدمان على المخدرات.
- (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات، 58. فوحدة الخالق وتوحيده بالعبادة تحرر الإنسان من عبودية الذات ومن الخضوع المهيمن للآخرين، وبذلك يحقق الإنسان قدراً عظيماً من الوعي بالحرية والمحافظة عليها، والاعتزاز بالنفس والشعور بالكرامة.
- تقوية صلة المسلم بالله عز وجل، إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن، في كل حركاته وسكناته، فهو لا يقدم على شيء إلا وهو يراعي حرمة الله ويرجو له وقاراً..

ومعنى ذلك أن المسلم في علاقته بربه، يستشعر الخشية والخوف منه، في نفس الوقت يتوجه إليه بالرجاء.. وذلك الخوف وهذا الرجاء يملآن قلبه بشعور عارم من التحرر من جميع المخاوف، لأنه يشعر بقوة أن الله وحده هو مالك أمره ومقرر مصيره، وإليه يرجع الأمر كله، هو الذي يملك تبارك اسمه أن يضره وأن ينفعه، أما غيره فأسباب عرضية ليس لها من الأمر شيء. وهكذا فإن المسلم الذي يتشبع بقيم الإسلام يتحرر من الشعور بالخوف على الحياة، أو الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة والمركز، فالحياة بيد الله، ليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة أو بعض ساعة: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (التوبة 51).

(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (خلق السماوات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير) (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك) إيمان المؤمن بكتاب الله يجعله يقرأ ويعمل بكل ما جاء فيه، وشعر أنه أحسن مخلوق وأنه مستخلف في الأرض وأن كرامته عند الله ليست بحسبه ونسبه ولونه ولكنها بمدى تحقيقه لعبوديته وتقواه.

أكد القرآن والسنة على أهمية التوكل على الله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، ومقتضى التوكل ألا يسأل الإنسان إلا ربه ولا يتعرض لسؤال الناس إلا لضرورة قاهرة، ولا تتنافى حقيقة التوكل مع الأخذ بالأسباب، ما دام المسلم يعتقد أن الأمر كله لله، فإذا أخذ المسلم بالأسباب المشروعة واستعان بالله على نجاح مقاصده فقد حقق التوكل، شاعرا في كل أحواله بالسند الإلهي. متضرعا لله، وطلبيا المعونة منه.. (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) (غافر: 60) (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) (البقرة: 186)، (الدعاء مخ العبادة).

والمؤمن الحق هو الساعي في الأرض، والضارب في مناكبها باحثاً عن رزقه، وقوته. تجده هناك في ساحات الحضارة، يحتطب من قيمها، وأخلاقيها، وعلومها ومدنيتها، ومعاشها: (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بجمرة الخطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه) (أطيب ما أكل الرجل، من كسبه). وهو الكيس، الفطن، الذكي، والمتحرز الحذر، المنتبه: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) وليس بمأكر، خداع، وغشاش، غير مؤتمن: (من غشنا فليس منا). وفي الحقيقة أن هذه الصفات التي ذكرها النبي

صلى الله عليه وسلم، تجعل المؤمن يرى نفسه كذلك ويعتبر صورته الهزيلة التي رسمها عن نفسه، رأياً تافهاً أمام القناعة التي وسمه بها المعصوم صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين.

وقد جمع الإسلام بين كليتين عظيمتين، الأولى: القضاء والقدر، والثانية: مسؤولية الإنسان عن العمل، وهذا الجمع يكفل تحقيق الطمأنينة وإزالة عقد الذنب والخوف، ويولد روح المغامرة والبذل والفداء والتضحية، ويحدد بقوة ووضوح مسؤولية الإنسان، فهو يدبر أمره حسب اجتهاده لأنه لا يعلم الغيب ولا يستطيع أن يستفيد من مصادر غيبية توضح ما سيحدث في الحياة مما كتب الله عليه، فالله سبحانه يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سوف يكون (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (الأنعام: 59) ، ولا عجب، فالله عز وجل هو الذي خلق الخلائق كلها، وقدر الأسباب والنتائج، وأحاط بكل شيء علماً (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) (سبأ: 3)

إن باب التوبة مفتوح، وإنَّ الرب غفور رحيم، فما دامت طبيعة البشر قابلة للذنوب فإن باب الرحمة والتوبة مفتوح أمامه لئلا يحكم عليه بالخلود في الشقاء والخطيئة. وهكذا يحقق هدفاً استراتيجياً هاماً هو استمرار ربط الأتباع في حالات ضعفهم وارتكابهم الذنوب والمعاصي أو تمردهم على بعض تعاليمه. إن مما يدعم صمود المسلم أمام الضغوط النفسية أن صلته بالله تعالى لا تنقطع وأن رجاءه في رحمة ربه عظيم بسبب فتح باب التوبة مهما بلغت معاصي الإنسان، وهي توبة بينه وبين ربه لا تحتاج لاعتراف أمام وسيط، ولا إلى كشف مستور للعالمين (لا تقنطوا من رحمة الله يغفر الذنوب جميعاً) (إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون).

وحرم الله عز وجل إتلاف النفس بالقتل أو الانتحار (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) وهذه الآية جعلت تحقيق الأمن الفردي أساساً لتحقيق الأمن الجماعي، لارتباط الأمنين، فجعلت قتل الواحد كقتل المجتمع، لما يشيع في المجتمع من اضطراب وقلق عند العدوان على (الواحد) وإحياء نفسه وتحقيق الأمن للمجموع. وفي الحديث (ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو

يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها) ولا شك أن عقوبة الخلود في النار منعت الكثير من المسلمين عبر التاريخ من الانتحار تحت ضغوط نفسية واجتماعية واقتصادية.. فالصمود والسعي لتحسين الحال هو السبيل الوحيد المفتوح أمام المسلم، لهذا نجد بعض العلماء يستندون في تحريم التدخين وأنواع من المخدرات على قاعدة لا ضرر ولا ضرار، أي عدم الإضرار بالنفس والتي هي أمانة ووديعة لدى الإنسان وليس من حقه أن يؤدي بها إلى التهلكة.

2- أحداث الحياة الصاغطة:

إن علم المؤمن بأن إرادة الله عز وجل شاءت أن تكون حياة الإنسان فوق هذه الأرض سلسلة متواصلة لا تكاد تنتهي من الابتلاءات والمحن يجعله متحفزاً للعمل دوماً يستقبل المصائب بالصبر والاحتساب والمسرات بالحمد والشكر، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور) (المالك: 1-2) وهذا الابتلاء قد يكون بالخير أو بالشر: (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) (الأنبياء: 35) وقد يكون الابتلاء للمؤمنين في سبيل تمييز المجاهدين منهم والصابرين (ونبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) (محمد: 31).

3- العلاقات الاجتماعية:

من القواعد المقررة أن الإنسان مدني بطبعه، ومعنى ذلك أن الإنسان بفطرته، يميل إلى التعارف، والتعايش مع غيره، ولذلك جعل الحق سبحانه وتعالى التعارف بين الناس، من أهم أسباب خلقه لهم، إذ قال سبحانه وتعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (الحجرات: 13) هذا التعارف ليس مقصوداً لذاته، وإنما جعل أولاً: غذاءً لطبيعة الإنسان، وثانياً: وسيلة للتعارف على كل ما فيه إسعاد البشرية، وتحقيق حياة أفضل لأفرادها في جانبها المادي والفكري،

كما أمر الله بصلة الأرحام القريبة، والتواصل بين المؤمنين، والتناصح بينهم، وزيارة المريض، وتفقد الجار، والتكافل الاجتماعي بين الناس لا يدع المسلم وحيداً يائساً، وهو من

أكثر أسباب شيوع الانتحار في العالم. إن الإحساس بالوحدة والوحشة لا مكان لها بين المسلمين إذا فقهوا تعاليم دينهم وطبقوها في واقعهم. كما نجد الرسول المعصوم صلي الله عليه وسلم يضع حدوداً أخلاقية لحفظ القلوب، وتزويدها بالضابط الروحي، والناظم الأخلاقي، الذي يلهمها القدرة على الانسجام مع سنن الله في الخلق فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه).

ولا يتوقف النبي صلي الله عليه وسلم عند هذا الحد، بل يرسم منهج الحل للمشكلات، ويعطي التدابير العملية لذلك، وهذا ما نستخلصه من حديث آخر يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.. ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.. ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة.. والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه.. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة.. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون الكتاب وتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده.. ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه).

وحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم (مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). هذا الحديث يعرض لنا صورة المجتمع الإسلامي في غاية التضامن والترابط والتساند، حتى لكأنهم كالجسد الواحد الذي يتأثر مجموعه بتأثر أي عضو فيه. وهنا أورد ملاحظة وهي إذا كانت هذه التعاليم السمحة تجعل جماعة المسلمين الكبيرة كالجسد الواحد؟، فكيف تجعل علاقة الزوجين اللذين جعل الله بينهما مودة ورحمة؟ وعلاقة الوالد بولده، والابن الذي قضى الرب سبحانه عليه ألا يعبد إلا إياه وبالوالدين إحساناً.

والحقيقة التي ينبغي أن تظل حاضرة في الأذهان، هي أن المنهج التربوي الإسلامي كيان مترابط الأجزاء، تتشابك فيه العقيدة مع العبادات، وهذه مع الأخلاق، والكل يعطينا

تلك الثمرة الطيبة التي هي الإنسان المسلم، وبالنتيجة المجتمع الإسلامي الفاضل. وعلى سبيل المثال، فالصلاة هي إحدى الوسائل التي يجسد بها المسلم قيمة العبودية لله عز وجل، يرغب الإسلام في إقامتها مع الجماعة ويرفع درجاتها إلى سبع وعشرين درجة، تأكيداً لروابط المسلمين وتعزيزاً للتعارف فيما بينهم.. والزكاة عبادة اجتماعية، لا يخفى دورها في دعم بنيان المجتمع الاجتماعي والاقتصادي، من خلال ما تزود به بيت مال المسلمين، ومن خلال معاني المحبة والتكافل التي تشيعها بين الأغنياء والفقراء، وقس على ذلك بقية الفرائض.

إضافة إلى ما سبق دعت الشريعة الإسلامية أفرادها إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبقاً لسنن الدعوات، وقوانين البلاغ المبين: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) قال تعالى في سورة آل عمران: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران: 110). وقد أكدت الشريعة على قيم كثيرة تحفظ المجتمع الإسلامي من أبرزها التزام المسلم بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المجتمع الإسلامي بالسفينة في البحر فينبغي على سائر ركابها أن يمنعوا أية محاولة لخرقها لئلا يغرقوا جميعاً. بحيث لا يتضمن الأمر بالمعروف فوات معروف أكبر منه، أو حصول منكر، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه أو فوات معروف أكبر منه.

4- الرفقة الحسنة:

بما أن الفرد يتأثر بمن حوله كما يتأثر بما حوله من بيئة يعيش فيها، ولذلك شبه الرسول صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح ببائع المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، فكلاهما مؤثر في صاحبه، والإنسان بطبعه مقلد لأصدقائه في سلوكهم ومظهرهم، وملبسهم؛ فرفاق السوء هم باب آخر للإدمان وللولوج في عالم المخدرات البغيض. ويأتي خطر رفاق السوء من أن تأثيرهم يتزايد في مرحلة يكون الشاب فيها قابلاً للتأثر خاصة في مرحلة المراهقة، لذا حث القرآن الكريم المؤمن على إتباع من يذكره بالله أذ يقول الله سبحانه جل في علاه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (الكهف) ذلك لأن الرفقة السيئة لها دورها السلبي الذي لا ينكر على الفرد، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الرجل على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخالل). كما أن على الصديق أن

ينصح صديقه ويصوب له إذا أخطأ أو زل، وذلك بأن يوصل الصواب إلى خليله، ويوصل خليله إلى الصواب بالصواب، لأن المؤمنين نصحة والمؤمن مرآة أخيه.

5- الغفلة والفراغ:

ومن المعلوم أن الأصل في حياة المسلم أنه لا يوجد فيها وقت فراغ بمعنى عدم العمل، لا للدنيا ولا للآخرة؛ ذلك أن الوقت أو العمر في حياة المسلم ملك لله، والإنسان مسؤول عنه، فحياة المسلم كلها عبادة، فهو مطالب بملء الوقت كله في عبادة الله، بمعناها الشمولي العام لجميع جوانب الحياة. ولعل أبلغ من عرّف العبادة بمعناها الشامل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة لا بمعناها الضيق، أو كما يفهمه بعض الناس بقصرها على أداء بعض العبادات، كالصلوات والصيام والزكاة والحج والعمرة، ونحو ذلك من الأفعال التعبدية الظاهرة فقط.

وهذا ما عبر عنه ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن كيفية عمارة المسلم لوقته، فقال: (إن عمارة الوقت تكون بالاشتغال في جميع آناء الوقت بما يقرب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكّل، أو مشرب، أو منكح، أو منام، أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه، كانت من عمارة الوقت، وإن كان له فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بمجر اللذات والطيبات) ودل على ذلك قوله تعالى: (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) (الزخرف: 36) فالغفلة عن ذكر الله وعبادته، تفتح الباب للشيطان، لكي يوسوس في النفس، ويعكر عليها صفوها وهدوءها، ويوقعها تحت وطأة القلق والهم والحزن.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) (طه: 134 - 136)، فإن سنة الله هذه تقتضي أن تصبح حياة الإنسان حافلة بالضنك والتعب والنصب، حين يغفل عن ذكر الله أو عن عبادته، وهذه سنة ربانية ماضية في الناس إلى يوم القيامة.

6- التوعية بالأحكام الشرعية:

هناك نتيجة بحثية مدهشة حول العلاقة بين التدخين/ والكحول تشير إلى أن الذين يبدؤون بالتدخين فمن المحتمل أن يستخدموا خموراً قوية، لكن الذي يبدأ بشرب خمور فمن غير المحتمل أن يبدأوا تدخين السجائر.

"وهكذا في حين أن الشرب يمكن أن يستمر دون التدخين، لكن التدخين إلى حد ما دائماً متبوع بشرب الخمر القوي. والاستخدام المزدوج للسجائر والخمر القوي مرتبط بالدخول إلى عالم المخدرات الممنوعة. وقال أحد الباحثين الذي أجرى دراسة تتبعية حول تعاطي المراهقين للمخدرات "إن تعلم تدخين السجائر هو تدريب ممتاز لتعلم تدخين الماريونا (الحشيش) حيث إن تدخين الماريونا إلى حد ما دائماً يبدأ بتدخين السجائر.

لذلك توجب بيان العلماء والدعاة والمسلمون كافة بمختلف طرق الإبانة أن كل مُسكر ومُحدر ومُفتر ومُذهِبٍ للوَعْيِ والرُّشْد يُحاربهُ الإسلام، ويحرمهُ الدين، ويُعاقب عليه الله عز وجل. أضف إلى ذلك حكم تدخين السجائر فهي حرام لذلك يجب أن نفعل كما فعلت كندا وبعض الدول الغربية:

- منع الدعاية للدخان في كافة وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

- حظر التدخين في أماكن العمل ودور العلم والمواصلات والأماكن التي يرتادها الجمهور بصفة عامة.

كما أنه ليس من المنطق والعقل أن نؤسس مكتباً لمحاربة المخدرات، ويحرم العلماء والفقهاء المخدرات قياساً على الخمر، بينما تفتح محلات بيع الخمور أبوابها أمام أبنائنا وإخواننا، وليس من المنطق والعقل أن نتابع مروجي المخدرات ونترك بائعي الخمر يفسدون العقول ويخربون البيوت، فمروجو الخمر كمروجي المخدرات مفسدون في الأرض محاربون لشرع الله يستحقون اللعن والعذاب إن لم يتوبوا إلى ربهم قبل فوات الأوان. كما ورد في الحديث "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة..." كما أن الذي يشرب الخمر أو يتاجر بها لن يتورع ولو للحظة عن تناول المخدرات أو الاتجار بها.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة، عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقها وبائعها وأكل ثمنها

والمشتري لها والمشترة له". فشرب الخمر فعل تشترك فيه هذه الفئات العشرة من الناس، بمختلف مراحل إنتاج وتوزيع واستهلاك الخمر، وما ينطبق على الخمر ينطبق على غيرها من الموبقات والمحرمات مثل بقية المخدرات.

ويقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي: " (الخمر ما خامر العقل) كلمة نيرة قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فوق منبر النبي صلى الله عليه وسلم يحدد بها مفهوم الخمر، فكل ما لا لبس العقل وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة فهو خمر حرام حرمه الله ورسوله إلى يوم القيامة."

أسباب تعاطي المخدرات

- أساليب إدراك المدمن للأشياء وتفسيره لها، قبل وبعد الإدمان.
- أحداث الحياة الضاغطة.
- تفكك الأسرة واضطراب علاقات المدمن والاجتماعية.
- إقامة علاقات مع أقران يتعاطون المخدرات.
- أوقات الفراغ.
- الجهل بالحكم الشرعي للمخدرات.

أسلوب التفكير:

ليس المحيط ولا الأحداث هما اللذان يتحكمان في حياتنا، بل المعنى الذي نعطيه لهذه الأحداث، وكيفية تفسيرنا وفهمنا لها هو الذي يحدد لنا ما الذي يؤدي بنا إلى الألم وما الذي يؤدي بنا إلى المتعة، وما إن يحدث لنا شيء في حياتنا واجهنا ذهن بسؤالين هما:

. هل يعني هذا ألم أم متعة؟

. ما الذي يتوجب عليا أن أفعل الآن لتجنب الألم و/أو لتحصيل المتعة؟

الجواب على هذين السؤالين مبني على قناعاتنا، وقناعاتنا تقودها التعميمات على ما تعلمنا أنه قد يؤدي بنا الألم أو المتعة، بهذه الطريقة توجه جميع أفعالنا، وبالتالي توجه حياتنا.

01- (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) مما يجعل يراقب الله عز وجل في السر

والعلن، في كل حركاته وسكناته، فهو لا يقدم على شيء إلا وهو يراعي حرمة الله ويرجو له وقارًا.

02- اعتقاد المؤمن أن عمر الدنيا قصير وكنزها حقير، وأن الآخرة خير وأبقى، فمن أصيب هنا كوفئ هناك، ومن تعب هنا ارتاح هناك.

03- تقبل الذات وتقدير عالي للذات: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (خلق السماوات والأرض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير) (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء رُكبك).

القضاء والقدر: يؤدي إلى التحرر من الشعور بالخوف على الحياة، أو الخوف على الرزق، أو الخوف على المكانة والمركز، فالحياة بيد الله، ليس لمخلوق قدرة على أن ينقص هذه الحياة ساعة أو بعض ساعة: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (التوبة 51).

04- إن مما يدعم صمود المسلم أمام الضغوط النفسية أن صلته بالله تعالى لا تنقطع وأن رجاءه في رحمة ربه عظيم بسبب فتح باب التوبة مهما بلغت معاصي الإنسان، مما يجعل من تناول المخدرات لأول مرة ستغفر ربه ويعود من قريب.

05- وكرم الله عز وجل إتلاف النفس بالقتل أو الانتحار (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)، عدم الإضرار بالنفس والتي هي أمانة ووديعة لدى الإنسان وليس من حقه أن يؤدي بها إلى التهلكة.

2- أحداث الحياة الصاغطة:

الابتلاء قد يكون بالخير أو بالشر: (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) (الأنبياء: 35)

3- العلاقات الاجتماعية:

قال سبحانه وتعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير). يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.. ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.. ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا

والآخرة.. والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه..)

4- الرفقة الحسنة:

يقول الله سبحانه جل في علاه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وتابع هواه وكان أمره فرطاً) (الكهف). كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)

5- الغفلة والفراغ:

وهذا ما عبر عنه ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن كيفية عمارة المسلم لوقته، فقال: (إن عمارة الوقت تكون بالاشتغال في جميع آناء الوقت بما يقرب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكل، أو مشرب، أو منكب، أو منام، أو راحة، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه، كانت من عمارة الوقت، وإن كان له فيها أتم لذة، فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات).

6- التوعية بالأحكام الشرعية:

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) قال تعالى في سورة آل عمران: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). لذلك توجب بيان العلماء والدعاة والمسلمون كافة بمختلف طرق الإبانة أن كل مُسكر ومُخدر ومُفتر ومُذهبي للوغي والرُّشد يُجاريه الإسلام، ويحرمه الدين، ويُعاقب عليه الله عز وجل. أضف إلى ذلك حكم تدخين السجائر فهي حرام لذلك يجب أن نفعل كما فعلت كندا وبعض الدول الغربية:

- منع الدعاية للدخان في كافة وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية بصورة مباشرة أو غير مباشرة.
- حظر التدخين في أماكن العمل ودور العلم والمواصلات والأماكن التي يرتادها الجمهور بصفة عامة.

كما أنه ليس من المنطق والعقل أن نؤسس مكتباً لمحاربة المخدرات، ويحرم العلماء

والفقهاء المخدرات قياساً على الخمر، بينما تفتح محلات بيع الخمر أبوابها أمام أبنائنا وإخواننا، وليس من المنطق والعقل أن تتابع مروجي المخدرات ونترك بائعي الخمر يفسدون العقول ويخربون البيوت.

قائمة المراجع:

1. يوسف القرضاوي في كتابه الحلال والحرام (1988)، مكتبة وهبة للطباعة والنشر.
2. يوسف القرضاوي (2014)، الحلال والحرام في الإسلام - الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشبهات، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، التقييم الدولي: 9789772253913، الصفحات: 624.
3. عبد الستار إبراهيم، (1998)، الاكتئاب، اضطراب العصر الحديث فهمه وأساليب علاجه، لمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، عدد الصفحات: 387.
4. أنطوني روبن (2003)، أيقظ العملاق الذي بداخلك، التنمية البشرية وتطوير الذات. طبع بمكتبة جرير، الرياض، السعودية.